# خطبة بعنوان:

# ((آثار الذنوب والمعاصى على الأفراد والمجتمعات))

✍ لأبي عبدالرحمن موفق الفاضلي العودي حفظه الله

## الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين وأشهد أن محمدا الصادق الأمين قائد الغر المحجلين وإمام المتقين وسيد المرسلين بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة فتح الله به آذانا صما وأعينا عميا وقلوبا غلفا تركنا على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ولا يتبعها إلا كل منيب سالك جاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه, فما من خير إلا ودل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه فصلوات ربي وسلامه عليه صلاة وسلاما دائمين إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنه لا يخفى على مسلم آثار الذنوب والمعاصي و نتائجها السلبية على الفرد والمجتمع ,فإن الذنوب والمعاصي هي سبب الدمار والهلاك وهي سبب البلايا والرزايا والمصائب والزلازل وسبب للأمراض والأسقام وسبب للشدة والقحط ومنع القطر من السماء قال الله في كتابه الكريم {وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ}[الشورى:30]

وقال تعالى: {مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا}[النساء:79]

وقال سبحانه وتعالى: {وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ}[النحل:118]

وقال تعالى: {ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ}[آل عمران:182]

{ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ}[الأنعام:31]

وقال تعالى:{ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ }[المائدة : 49]

كل هذه الآيات وأمثالها تبين أن ما نزل بالناس من مصائب وبلايا أن ذلك بسبب ذنوبهم وبعدهم عن دينهم وعدم تمسكهم

بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ,وسواء كان ذلك حاصلا من جميعهم أو من بعضهم فإن المصائب
تعم الجميع ,الصالح والطالح, قال تعالى: {وَاتَّقُواْ فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ}[الأنفال:25]

وروى البخاري ومسلم عن عَائِشَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : "يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ قَالَتْ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ ، وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ قَالَ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِم".

فيه بيان خطورة مصاحبة أهل المعاصي ومجالستهم ,فإنها إذا نزلت المصائب فإنها تشمل الجميع.

ومن رحمة الله أنه لا يؤاخذ عباده بكل ذنب ارتكبوه كما بين ذلك بقوله :{ويعفوا عن كثير} ولو آخذ العباد بكل ما اكتسبوا لهلكوا .

قال تعالى: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا}[فاطر:45]

وإن الناظر في الأمم السابقة يرى أن سبب هلاكهم ونزول العذاب عليهم هي ذنوبهم وكفرهم بالله رب العالمين.

فقد أهلك الله قوم نوح عليه السلام بالطوفان وذلك لأنهم كفروا بربهم وضللوا نبيهم.

وأهلك الله عادا بالريح العقيم التي لا تدع شيئا إلا جعلته ک الرميم وذلك بسبب كفرهم ,ولأنهم سفهوا هودا عليه السلام.

وأهلك الله ثمود بالرجفة والصيحة الشديدة,لأنهم عتوا عن أمر ربهم, وعقروا الناقة التي جعلها الله آية لهم.

وأهلك الله قوم لوط عليه السلام حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَوقلب عاليها سافلها لأنهم قلبوا سنة الله وأتوا الرجال شهوة من دون النساء وكانوا قوما مسرفين.

وأهلك الله قوم شعيب عليه السلام بعذاب يوم الظلة لأنهم كفروا بنبيهم وتوعدوه بإخراجه من بلده وكانوا يطففون الكيل والميزان.

وأهلك الله فرعون وقومه بالغرق لأنهم تكبروا على موسى عليه السلام واستضعفوا بني إسرائيل فأهلكهم الله وأورث أرضهم وديارهم للذين كانوا مستضعفين في الأرض ودمر الله ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون.

وهذا هو مصير كل أمة كذبت نبيها وعصت ربها وهو الهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة قال تعالى بعد أن ذكر جملة من الأمم وما ذا حل بهم من النكال والعذاب : {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلا ۚ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءنَا

الضّرّاء وَالسرّاء فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لا ۘ يَشْعُرُون}[الأعراف:94-95]

وقال تعالى:{ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ* فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}] [الأنعام : 42 - 45]

وفي هذا المقام نتطرق إلى بعض آثار الذنوب والمعاصي التي تنزل بالناس بسبب الذنوب والمعاصي.

ـ فمن هذه الآثار يا عباد الله نزول المصائب وحصول العذاب ق ال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيد}[هود:102]

وروى ا لبخاري ومسلم عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُقْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: {وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ} [هود: 102]

أي أن الله يمهله ثم يأخذه بغتة فلم يتركه حتى يستوفي عقابه.

وقال تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}[الروم:41]

قال السعدي رحمه الله: أي: استعلن الفساد في البر والبحر أي: فساد معايشهم ونقصها وحلول الآفات بها، وفي أنفسهم من الأ مراض والوباء وغير ذلك، وذلك بسبب ما قدمت أيديهم من الأ عمال الفاسدة المفسدة بطبعها. اه.

وروى الطبراني عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا اخْتَلَجَ عِرْقٌ – أي انتزع- وَلَا عَيْنٌ إِلَّا بِذَنْبٍ , وَمَا يَدْفَعُ اللهُ عَنْهُ أَكْثَرُ»

وروى الترمذي عن أبي مُوسَى رضي الله عنه، أنّ رَسُولَ اللّه ِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لا َ يُصِيبُ عَبْدًا نَكْبَةٌ فَمَا فَوْقَهَا أَوْ دُونَهَا إِلا ّ بِذَنْبٍ، وَمَا يَعْفُو اللهُ عَنْهُ أَكْثَرُ، وَقَرَأَ {وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}.

وروى ابن ماجه عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنّ: لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الّذِينَ مَضَوْا. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسّنِينَ وَشِدّةِ الْمَؤُونَةِ وَجَوْرِ السّلْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا. وَلَمْ يَنْقُضُوا

عَهْدَ اللّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلّا سَلّطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ. وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمّتُهُمْ بِكِتَابِ اللّهِ وَيَتَخَيّرُوا مِمّا أَنْزَلَ اللّهُ، إِلّا جَعَلَ اللّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ"

ففي هذا الحديث وعيد شديد لأصحاب هذه المعاصي إذ ذكر فيه خمس عقوبات عاجلة مترتبة عن خمس معاصٍ ذميمة, و الناظر في هذا الزمان يرى هذه المعاصي حاصلة ويرى هذه العقوبات نازلة.

العقوبة الأولى: انتشار مرض الطاعون والأوجاع والأسقام التي عجز الأطباء عن علاجها والتي لم تكن موجودة في الأزمان المتقدمة كمرض الإيدز والسيلان والكبد والأنفلوزا والزهري و الجلطات الدموية والسكتات القلبية وذلك بسبب انتشار الفواحش بين الناس وإعلانها حتى صار لها أماكن وفنادق خاصة بها والعياذ بالله.

العقوبة الثانية: القحط والجدب والشدة والجوع وشدة المئونة وهي الكلفة والغلاء وتدهور العملة وذلك بسبب تطفيف الكيل وخسران الميزان, ويدخل في ذلك عدم الوفاء في المكيلات و الموزونات والمقيسات والمعدودات,وهو عام في المأكولات و المشروبات والمبيعات والأراضي والعقارات فإذا بخسوا هذه الأ شياء وخسروها حلت بهم تلك العقوبات.

العقوبةالثالثة: منع القطر من السماء بسبب منع الزكاة ,ولولا أن الله يرحم البهائم ما نزل المطر,وقوله:" ولولا البهائم لم يمطروا"

دليل على أن البهائم أفضل منهم لأنها تؤدي وضيفتها وهؤلاء لم يؤدوا ما أوجب الله عليهم من الزكوات فمطروا بسبب هذه البهائم.

العقوبة الرابعة: تسلط الكفار على المسلمين وامتصاص ثرواتهم واحتلال بعض أراضيهم ,بسبب نقض عهد الله وعهد رسوله صلى الله عليه وسلم .

والعهود قسمان:وهي العهود والمواثيق والالتزامات التي بين الناس,و العهود التي بينهم وبين ربهم وبينهم وبين نبيهم صلى الله عليه وسلم,ومنها تحقيق التوحيد والعمل بالسنة لكن لما نقض كثير من الناس عهد الله وعهد رسوله, وأخلوا في التوحيد والسنة سلط عليهم أعداءهم.

العقوبة الخامسة: تناحر المسلمين فيما بينهم من القتل والقتال والعداوة والبغضاء لاسيما بين الحاكم والمحكوم فيتسلط الحكام الظلمة عليهم ويحصل التمرد والعصيان من المحكومين على أولياء أمورهم وكل ذلك بسبب عدم تحكيم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

قال سبحانه وتعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ}[الأنعام:65]

ومعنى :{عذابا من فوقكم }

قال البغوي عن مجاهد وابن عباس: بالسلاطين الظلمة وقال غيره: عذاب من السماء. اهـ

ومعنى قوله :{أو يلبسكم شيعا}: أي يجعلكم فرقا وأحزابا متناحرة يقتل بعضكم بعضا.

ومنها أن الله يولي عليهم الحكام الظلمة بذنوبهم كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُون}[الأنعام:129]

وجاء عن بعض السلف منهم الحسن البصري ـرحمه الله ـ قال: "أعمالكم عمالكم وكيفما تكونوا يولى عليكم".

ـ ومن آثار الذنوب والمعاصي على الفرد والمجتمع زوال النعم وتغير الأحوال.

قال الله في كتابه الكريم: { إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ}[الرعد:11]

قال المفسر السعدي رحمه الله: {إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ} من النعمة والإحسان ورغد العيش {حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} بأن ينتقلوا من الإيمان إلى الكفر ومن الطاعة إلى المعصية، أو من شكر نعم الله إلى البطر بها فيسلبهم الله عند ذلك إياها. {وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا} أي: عذابا وشدة وأمرا يكرهونه، فإن

إرادته لا بد أن تنفذ فيهم فَإنه لا مَرَدّ لَهُ ولا أحد يمنعهم منه. اه

-

فيُعلم من هذا أن النعم ترفع بسبب الذنوب والمعاصي وتدوم بـ الشكر والطاعات.

إذا كنت في نعمة فارعها :: فإن المعاصي تزيل النعـم

وحـافظ عليها بشـكرالإله:: فإن الإلــه سريـع النقـم

قال تعالى: {وَإِذْ تَأَذّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنّ عَذَابِي لَشَدِيد}[إبراهيم:7]

وقال تعالى: {وَلَوْ أَنّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مّنَ السّمَاء وَالأَرْضِ وَلَـكِن كَذّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون}[الأعراف:96]

في هذه الآيات أن التقوى والإيمان سبب لنزول بركات السماء وخروج بركات الأرض ,والذنوب والمعاصي سبب للمؤاخذة و العذاب من قوله:{ وَلَـكِن كَذّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُون}.

ـ ومن آثار الذنوب والمعاصي يا عباد الله تسلط الكفار على

المسلمين.

والواقع خير شاهد فقد أصاب المسلمين الذل أمام أعدائهم حتى صاروا لا يصدرون إلا عن رأيهم ولا يسيرون إلا ضمن مخططاتهم ولا يحكمون إلا عن طريق قوانينهم وانظمتهم إلا من رحم الله.

فتسلط الكفار عليهم وأدخلوا الديمقراطية والحزبية في أوساطهم وصارت المراقبة عليهم شديدة حتى لا يكادون يفعلون شيئا إلا بإذن منهم بل صار بعض المسلمين يسارعون فيهم ويتسابقون إليهم ويسافرون إلى بلادهم ليحظوا بـ المناصب عن طريقهم أو الظفر بشيء من لعاعة الدنيا وغير ذلك, فإنا لله وإنا إليه راجعون وكل هذا بسبب ذنوبهم,وحرصهم على الدنيا, وبعدهم عن دينهم وجهلهم بدين الله.

فقد روى الإمام أبو داود عن ثوبانَ رضي الله عنه، قال: قال رسولُ الله - صلّى الله عليه وسلم -: "يوشِكُ الأ ُممُ أن تداعَى عليكم كما تداعَى الأ َكَلَةُ إلى قَصْعَتِها" فقال قائل: ومن قلّةٍ نحن يومئذٍ؟ قال: "بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنّكم غُثاءٌ كغثاء السّيلِ، ولَيَنْزِعَنّ الله ُ مِن صدورِ عدوِّكم المهابةَ منكم، وليقذفنّ الله ُ في قلوبِكم الوَهْنَ". فقال قائلٌ: يا رسُولَ الله، وما الوهنُ؟ قال: حبُّ الدُنيا وكراهيةُ الموتِ"

وروى ابن أبي عاصم عن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه ق

ال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقريش:" لن يزال هذا الأمر فيكم وأنتم ولاته مالم تحدثوا فإذا فعلتم سلط الله عليكم شرار خلقه فيلحوتكم كما يلحت هذا القضيب".

أي يأخذوا ما عندكم ولم يدعوا لكم شيئا كما يلحت القضيب أي كما تقشر العصا.

وقد تقدم حديث ابن عمر رضي الله عنهما:" وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ".

ـ ومن آثار الذنوب والمعاصي على المسلمين أنهم يصابون بـ الذلة والصغار.

فتورث المعاصي سوادا في الوجوه, وكلٌ بحسبه,وعلى قدر ذنوبه, بينما الطاعات تورث نورا في الوجوه :{سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُود }[الفتح:29]

وقال صلى الله علي وسلم: "والصلاة نور". رواه مسلم عن أبي مالك رضي الله عنه.

وقال تعالى عن الكافرين مبينا سواد وجوههم بسبب كفرهم ومعاصيهم {وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاء سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا

خَالِدُون}[يونس:27]

وكذلك المسلم العاصي يصيبه من الذلة وسواد الوجه بقدر ذنوبه ,ومصداق ذلك ما رواه أبو دواد عن ابن عمر،رضي الله عنهما, قال: سمعتُ رسولَ الله -صلّى الله عليه وسلم- يقول: "إذا تبايعتُم بالعِينَةِ، وأخذتم أذنابَ البقرِ، ورضيتُم بالزّرْع، وتركتُم الجهادَ، سَلّط الله ُ عليكم ذُلا ً لا ينزِعُه حتى ترجِعُوا إلى دينكم"

والعينة هي نوع من أنواع الربا وهو أن يبيع السلعة بثمن معلوم إلى أجل, ثم يشتريها منه بأقل مما باعها له ليبقى الكثير في ذمته ويربح أموالا بغير حق, وهذا تحايل على الربا.

وقوله: "وتبعتم أذناب البقر" كناية بالاشتغال بالحرث عن الجهاد.

ـ ومن أسباب الذلة والمهانة مخالفة سنة النبي صلى الله عليه وسلم والابتداع في الدين .

فقد روى البخاري رحمه الله تعليقا عن عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى الله ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي»

فمن خالف أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغب عن سنته فهو ذليل ومن أطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتابعه وعمل بسنته فهو عزيز, يؤخذ هذا من مفهوم هذا الحديث وغيره من الأدلة وعلى قدر متابعة العبد تكون له العزة والنصرة والحفظ والكلاءة,قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال : 64]

قال سفيان ابن عيينة رحمه الله: ما رأيت صاحب بدعة إلا رأيت على وجهه ذلة قيل له: أفي كتاب الله هذا؟ قال: نعم، {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ}[الأعراف:152]

الشاهد قوله تعالى:{وكذلك نجزي المفترين}

قال المفسر ابن كثير رحمه الله: لِكُلِّ مَنِ افْتَرَى بِدْعَةً، فَإِنَّ ذُلَّ الْبِدْعَةِ وَمُخَالَفَةَ الرِّسَالَةِ مُتَّصِلَةٌ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى كَتِفَيْهِ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّ ذُلَّ الْبِدْعَةِ عَلَى أَكْتَافِهِمْ، وَإِنْ هَمْلَجَتْ بِهِمُ الْبَغْلَاتُ، وَطَقْطَقَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ. وَهَكَذَا رَوَى أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِي، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ الْجَرْمِي، أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: {وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ} قَالَ: هِيَ وَاللَّهِ لِكُلِّ مُفْتَرٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: كُلُّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ ذَلِيلٌ. اهـ

ومن آثار الذنوب والمعاصي على المجتمعات حصول الفرقة و التشرذم والبغضاء بينهم .

كما تقدم في قوله تعالى: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ

بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ }[الأنعام:65]

ومعنى:{أو يلبسكم شيعا} أي: يجعلكم فرقا وأحزابا يعتدي بعضكم على بعض.

وفي حديث ابن عمر المتقدم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: . "وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ" أي يسلط بعضهم على بعض فتنتشر بينهم العداوة والبغضاء.

وروى الإمام أحمد عَنِ ابْنِ عُمَرَ، رضي الله عنهما,أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا، إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا "

وهذا هو المشاهد والواقع ترى المسلمين تفرقوا إلى جماعات متعددة وما ذلك إلا بسبب ما أحدثه بعضهم من المعاصي و البدع, بل وترى الجماعة الواحدة يتفرع عنها جماعات مختلفة تخرج منها بسبب ما يحدثه بعضهم من المحدثات والمخالفات لدين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومنهج السلف وتبقى الجماعة المحقة على الأصل متمسكة بالكتاب والسنة وهي الطائفة الناجية المنصورة لا يضرها من خذلها ولا من خالفها ويبقى الحق واحدا وغيره هو الباطل وهذه هي سنة الله في أرضه ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

ففي البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- « لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ

مِنْ أُمّتِى ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لا  َ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتّى يَأْتِىَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ ».

اللّهم ثبتنا على الحق وصرّف قلوبنا على الطاعة وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان.

## الخطبة الثانية:

الحمد لله المحمود بكل لسان المعبود في كل زمان الذي لا يخلو من علمه مكان جل عن الأشباه والأنداد وتنزه عن الصاحبة والأولاد ونفذ حكمه في جميع البلاد لا تتوهمه القلوب بالتصوير ولا تتخيله العقول بالتصوير { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السّمِيعُ

البَصِير}

أما بعد:

فقد عُلم مما تقدم أن للذنوب آثارا سيئة وعواقب وخيمة يعود ضررها على العبد في الدنيا والآخرة.

فإياك إياك يا عبد الله أن تتساهل بالذنوب والمعاصي أو تستهين بها أو تستصغر ذنبا أو تستحقره فإن الذنوب قد تجتمع على العبد فتهلكه ورب ذنب صغير يجر إلى ذنب كبير ثم إلى أكبر وربما جرّ صاحبه إلى الكفر والعياذ بالله, لأن جزاء السيئة سيئة مثلها, وجزاء الحسنة حسنة مثلها ,قال تعالى: {قُلْ مَن كانَ فِي الضّلا ـَلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرّحْمَنُ مَدّا }[مريم:75] وقال تعالى:{ وَالّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ }[محمد : 17]

وقال بعض السلف: إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها أخوات وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها أخوات. اهـ أو كمال

وروى الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ اللّه ـِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، أَنّ رَسُولَ اللّه ـِ صَلّى اللّه ُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ قَالَ: " إِيّاكُمْ وَمُحَقّرَاتِ الذّنُوبِ، فَإِنّهُنّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرّجُلِ حَتّى يُهْلِكْنَهُ " وَإِنّ رَسُولَ اللّه ـِ صَلّى اللّه ُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ ضَرَبَ لَهُنّ مَثَلًا: كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرّجُلُ يَنْطَلِقُ، فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتّى جَمَعُوا سَوَادًا،

فَأُجّجُوا نارًا، وَأُنْضَجُوا مَا قَدَفُوا فِيهَا".

وفي صحيح البخاري عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، قَالَ: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰه ُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ المُوبِقَاتِ» أي: «المُهْلِكَاتِ»

وما أحسن قول القائل:

خل الذنوب صغيرهـا *** وكبيــرهــا ذاك التــقى

واصنع كماش فوق أر *** ض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقــرن صغيــرة *** إن الجبـال مـن الحصـى

ـ وإن من آثار الذنوب والمعاصي أنها تؤثر على القلب فيزيغ وينحرف عن الهدى.

وذلك أن الذنوب تغطي على القلب فلا يعرف الحق من الباطل ولا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا.

قال تعالى: {كلا ۖ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ}[المطفّفين:14]

قال المفسر البغوي رحمه اللّٰه: وَمَعْنَى الْآيَةِ: أي:غَلَبَتْ عَلَى قُلُوبِهِمُ الْمَعَاصِي وَأَحَاطَتْ بِهَا.

قَالَ الْحَسَنُ: هُوَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ حَتَّى يَمُوتَ الْقَلْبُ.

قَالَ ابْنُ عَبّاسٍ: (رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ )أي:طَبَعَ عَلَيْهَا. اهـ

ومثلها قوله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدّمَتْ يَدَاهُ إِنّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا}[الكهف:57]

أي :جعل الله على قلوبهم أغطية وعلى آذانهم صما فلا يهتدون إلى الحق بسبب ذنوبهم وإعراضهم عن آيات الله.

وقال تعالى: { فَلَمّا زَاغُوا أَزَاغَ اللّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِين}[الصف:5]

وقال تعالى: { فَلْيَحْذَرِ الّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم}[النور:63]

قال الإمام أحمد: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك لعله إذا رد بعض قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك. اهـ

قال ابن المبارك رحمه الله:

رأيت الذنوب تميت القلوب :: وقد يورث الذل إدمانها

وترك الذنوب حياة القلوب :: وخير لنفسك عصيانها

ـ ومن آثار الذنوب والمعاصي يا عباد الله أنها تحرم العبد الأ

أرزاق وتصرفه عن بعض العبادات:

قال تعالى:{ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (الروم:41)

قال البغوي في قوله عز وجل: { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ } يعني: قحط المطر وقلة النبات"اه.

والمطر جعله الله مصدر الأرزاق,فإذا منع الناس المطر ,منعوا الأرزاق.

وقال تعالى:{ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } [الأنفال : 53]

قال السعدي: { ذَلِكَ } العذاب الذي أوقعه الله بالأمم المكذبين وأزال عنهم ما هم فيه من النعم والنعيم، بسبب ذنوبهم وتغييرهم ما بأنفسهم،فإن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم من نعم الدين والدنيا، بل يبقيها ويزيدهم منها، إن ازدادوا له شكرا. { حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } من الطاعة إلى المعصية فيكفروا نعمة الله ويبدلوها كفرا، فيسلبهم إياها ويغيرها عليهم كما غيروا ما بأنفسهم.اه.

وقال تعالى في كتابه الكريم: { وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ }[الطلاق:2-3] فمفهوم الآية أن من لم يتق الله لا يبارك له في رزقه.

وروى البخاري عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ

رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، أَوْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»

ومفهوم الحديث أن من قطع رحمه لا يبارك له في رزقه.

وفي الحديث القدسي أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:" قال تعالى: (يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى ويدك رزقا ولا تباعد مني أملأ قلبك فقرا ويدك شغلا" رواه الحاكم عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

قال بعض السلف رحمهم الله: تركت القيام خمسة أشهر بذنب أصبته.

والذنوب قد تحرم العبد العلم والحفظ وقد تنسيه القرآن الكريم.

قال الشافعي رحمه الله:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي*** فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبـرني بأن العـــلم نـــور*** ونـور
الله لا يؤتـاه عـاصي

فننصح أنفسنا وإخواننا بالبعد عن الذنوب والمعاصي ومن ألمّ بشيء من ذلك فليكثر من التوبة والاستغفار يُغفر له ما قد سلف , فإن الله سبحانه وتعالى لا يعذب المستغفرين قال تعالى:

{ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}[الأنفال:33].

فيجب على كل مسلم خصوصا الدعاة إلى الله أن يأمروا بـ المعروف وأن ينهوا عن المنكر, فإن لم يأخذوا بيد الظالم وينصحوا العاصي يوشك أن يعمهم الله بعذابه.

فقد روى الإمام الترمذي رحمه الله عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ،رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ".

فإذا نزلت العقوبات والمصائب لا ينجوا منها إلا الآمرون بـ المعروف والناهون عن المنكر

قال تعالى: {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُون * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُون}[الأعراف:164-165]

فإن سكتوا عن المنكر جميعا هلكوا جميعا وإن أخذو ابأيديهم نجوا جميعا.

فقد روى البخاري عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ

بَعْضُهُمْ أَعْلا  َهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا "

فهذا من أبلغ الأمثلة التي ضربها النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر,فالذين في أسفل السفينة ضربه مثلا لأهل المعاصي والذين في أعلى السفينة ضربه مثلا للآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر, فإنهم إن تركوا الذين في أسفل السفينة يخرقون السفينة غرقت بهم جميعا,وإن منعوهم وأخذوا بأيديهم سلمت السفينة ونجوا جميعا,وهكذا إن ترك الدعاة أهل المعاصي في معاصيهم,ولم يرشدوهم إلى الخير ويحذروهم من الشر, نزلت العقوبات فعمت الجميع نسأل الله العافية والسلامة.

اللّهم إنا نسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين.

اللّهم حبب إلينا الإيمان وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين.

اللّهم جنبنا الفتن ماظهر منها ومابطن

الهم أعنا على الطاعات وفعل  وجنبنا الذنوب والمعاصي و السيئات

برحمتك يا أرحم الراحمين